٦

فقه الدعوة في آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان

د.لولوة بنت سليمان الغنام

الأستاذ المشارك في المعهد العالي للدعوة والاحتساب
قسم الدعوة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

• حصلت على درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكانت أطروحتها بعنوان: (الدعوة إلى الله في سورة الحج).

• حصلت على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكانت أطروحتها بعنوان: (الدعوة إلى الله في المواقع النسائية في شبكة المعلومات العالمية).

E : Loloh99@hotmail.com

الملخص

موضوع البحث: فقه الدعوة في آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان.

أهداف البحث: إبراز أهمية آيات صفات عباد الرحمن في الدعوة إلى الله، وبيان الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الشرعي والأخلاقي في حياة المسلم.

منهج البحث: المنهج الاستدلالي الاستنباطي؛ والمنهج التحليلي.

أهم النتائج:

- تمثل صفات عباد الرحمن منهجًا متكاملًا لشخصية العبد المؤمن، والتي تؤدي به عند الاتصاف بها إلى مرضاة الله والفوز بجناته، وهي صفات عبودية خالصة للرحمن، واختص سبحانه من أسمائه اسم الرحمن ليضيف له عبودية عباده لما في هذا الاسم من كمال رحمته سبحانه بعباده المؤمنين.
- من موضوعات الدعوة إلى الله: الدعوة إلى اجتناب كبائر الذنوب الواردة في آيات صفات عباد الرحمن، وخاصة فيما يتعلق بالخفي منها، كالشرك، والتي قد يدعو إليها الهوى والظلم كالقتل وشهادة الزور، وما ينافي العفة كالزنا.
- في قولهم (سلامًا) عند وقوع المجاهلة عبرٌ للدعاة إلى الله؛ فهو سلام توديع لا تحية.

التوصيات:

- تكثيف الدراسات التي تُعنى بتأصيل الدعوة إلى الله من الكتاب والسنة.
- دراسة آيات صفات المؤمنين في بداية سورة المؤمنون، وشواهدهما المتفرقة في كتاب الله وتطبيقاتها الدعوية.

الكلمات المفتاحية: آيات – دعوة – سورة – الفرقان – صفات – داعي.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلاهادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن كتاب الله مصدر التشريع الأول في الدين الإسلامي، وهو زاد الدعاة إلى الله في مسيرتهم الدعوية، فهم يجتهدون في فهمه وتعلمه لأهميته ومكانته العظيمة؛ بما يحويه من شمول وإحكام يبلغ الإعجاز في كل جوانبه، ولايمكن للدعاة أن يحسنوا دعوتهم للناس بدون التأصيل العلمي منه، فهو كلام الله الذي أمروا أن يبلغوه للناس، وفي آياته منهج متكامل للدعوة يبين طريقة الدعوة وأركانها وأسسها ومناهجها وموضوعاتها وغير ذلك مما يحتاجه الداعي إلى الله.

ومن آيات الله الواردة في كتابه -سبحانه- الآيات التي بيّنت صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان، والتي وعد الله من اتصف بها بالجنة بعد بيانها في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦].

فهذه الآيات لها أهمية كبرى للدعاة إلى الله على وجه الخصوص؛ فشرف إضافة العبودية لاسم الله الرحمن شرف لايضاهيه غيره، وبما خصهم الله من بيان لصفاتهم، ومايترتب على ذلك من عظم الجزاء والتي ختمت به الآيات، دعوة إلى الالتزام بها وأيضًا دعوة الناس لها، فهي الخير العظيم من الرحمن -سبحانه- لعباده المؤمنين.

ومع ما سبق من **أهمية الموضوع**؛ فإن من **أسباب اختياره**:

١- الحاجة للتأصيل الشرعي للدعوة إلى الله من كتابه سبحانه وتعالى، مع ربطها بما يبيّنها من السنة النبوية المطهرة، وخاصة في مجال الصفات والأخلاق التي تشتد حاجة الدعاة والمدعوين لها لعظم تأثيرها في نجاح الدعوة.

٢- الحاجة لمعرفة الدروس الدعوية في آيات صفات عباد الرحمن الواردة في سورة الفرقان؛ لأهميتها الدعوية لكل مسلم، ولما لها من شرف فهي صفات عبودية خالصة للرحمن، مع ما في هذا الاسم من كمال رحمته سبحانه بعباده المؤمنين.

أهداف البحث:

١- إبراز أهمية آيات صفات عباد الرحمن في الدعوة إلى الله.

٢- بيان الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الشرعي في حياة المسلم.

٣- بيان الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الأخلاقي في حياة المسلم.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث تبين للباحثة: أن موضوع آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان -دراسة دعوية- لم يطرح سابقًا؛ فالدراسات الموجودة تحدثت عن صفات عباد الرحمن بشكل عام، ومن أهمها فيما وقفت عليه في هذا الموضوع:

١- **الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان**، محمد بن سعيد بن رشيد البارودي[(١)].

يأتي هذا البحث في تمهيد وبابين؛ أما التمهيد فعن أهمية السورة، وأما الباب الأول فعن الدعوة في ضوء السورة، وجاء في أربعة فصول؛ تتحدث عن الإيمان بالله ووحدانيته وما إلى ذلك، ثم الباب الثاني وهو عن الداعية في ضوء سورة الفرقان، وجاء في ثلاثة فصول؛ بينت مهمة الداعية وواجباته وصفاته.

وتشترك هذه الدراسة مع هذا البحث في كونهما دراسة دعوية لآيات سورة الفرقان، ويختص هذا البحث بالتركيز على الآيات التي جاءت في بيان صفات عباد الرحمن باعتبارها صفات للداعي والمدعو على حد سواء، مستنبطًا الفقه الدعوي منها.

(١) رسالة ماجستير في الدعوة الإسلامية، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ.

٢- **آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان: دراسة بلاغية**، نايل ممدوح أبو زيد[١].

تعالج هذه الدراسة آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان من رؤية بلاغية؛ فبينت جمال النظم ودقته في التعبير عن هذه الصفات، حيث بدأ القرآن الحديث عن صفات الإيجاب (التحلية)، ثم أتبعه بالحديث عن آيات صفات السلب (التخلية) موضحة الدقة البلاغية والفصاحة البيّنة التي تبين جانبًا كبيرًا من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وفي المقابل فإن هذا الدراسة تتحدث عن صفات عباد الرحمن الواردة في أواخر سورة الفرقان من خلال دراستها دعويًا.

٣- **دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها على صفات عباد الرحمن كما وردت في سورة الفرقان**، مسفر بن عيضة المالكي[٢].

هذه الدراسة تناولت آيات صفات عباد الرحمن من زاوية تربوية؛ مبينة دور الأسرة المسلمة في تنشئة الأولاد وأساليبها في تطبيق الصفات الواردة في الجانب التعبدي والأخلاقي والإجتماعي، وهي بهذا تختلف عن هذه الدراسة كونها تستخلص الدروس الدعوية من الآيات.

٤- كتاب: **فتح المنان في صفات عباد الرحمن**، وحيد عبد السلام بالي[٣].

يتناول هذا الكتاب صفات عباد الرحمن الواردة في سورة الفرقان برؤية تأصيلية، إذ يشير إلى مواطنها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والآثار الواردة عن صحابة رسول الله ﷺ، في حين أن هذا البحث يتناولها من رؤية دعوية تبرز الدروس الدعوية التي يمكن للدعاة الإفادة منها في الدعوة إلى الله.

(١) بحث منشور في مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٣، العدد ٢، ٢٠٠٦م.

(٢) بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.

(٣) الكتاب بدون معلومات النشر، وهو منشور في الشبكة العنكبوتية في موقع صيد الفوائد/

http://www.saaid.net/book/open.php?cat=82&book=7757

مناهج البحث:

هذه البحث من الدراسات الوصفية القائمة على منهجين من مناهج البحث العلمي؛ وفيه يتبع **المنهج الاستدلالي الاستنباطي**؛ وهو: «المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومسلم بها، إلى قضايا أخرى تتضمنها، وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة، ويتم هذا بواسطة القول أو بواسطة الحساب»[(١)]، و**المنهج التحليلي**: «وهو المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بأي نشاط كان، ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها»[(٢)].

وستقوم الباحثة -بمشيئة الله- باستنباط الدلالات الدعوية لآيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان مبينة الفقه الدعوي فيها، مع تحليل ما تم استنباطه وجمعه من معلومات لتوظيفه فيما يتعلق بجزيئات البحث.

تساؤلات البحث:

سيجيب هذ البحث -بمشيئة الله- عن التساؤلات التالية:

- ما أهمية آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان في الدعوة إلى الله؟
- ما الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الشرعي في آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان؟
- ما الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الأخلاقي في آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان؟

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة؛ كما يلي:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وتساؤلاته، ثم خطة البحث.

(١) مناهج البحث، عناية، (ص٨١)، ومناهج البحث العلمي، بدوي، (ص١٨).

(٢) مناهج البحث وكتابتها، القاضي، (ص٨٩).

تمهيد: وجاء في أهمية آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان في الدعوة إلى الله.

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الشرعي:

المطلب الأول: اجتناب كبائر الذنوب.

المطلب الثاني: الاستجابة لآيات الله.

المطلب الثالث: الحرص على قيام الليل.

المطلب الرابع: الحرص على الدعاء.

المطلب الخامس: الاعتدال في الإنفاق.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الأخلاقي:

المطلب الأول: التواضع.

المطلب الثاني: الحِلم.

المطلب الثالث: الإعراض عن اللغو.

المطلب الرابع: الصبر.

المطلب الخامس: الخوف من النار.

ثم خاتمة حوت نتائج البحث، وأهم توصياته.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

أهمية آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان في الدعوة إلى الله

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦].

في هذه الآيات يبين الله لعباده جملة من الصفات التي يتصف بها عباده المؤمنون، وتمثل هذه الصفات منهجًا متكاملًا لشخصية العبد المؤمن، والتي تؤدي به عند الاتصاف بها إلى مرضاة الله والفوز بجناته، ولها أهمية عظيمة في الدعوة إلى الله على وجه الخصوص، ومما يبين ذلك:

- أن الله سبحانه وتعالى نص على جملة من الصفات بعينها، هي صفات عبودية خالصة للرحمن، واختص سبحانه من أسمائه اسم الرحمن ليضيف له عبودية عباده لما في هذا الاسم من كمال رحمته سبحانه بعباده المؤمنين، ولهذا أهمية كبرى؛ قال الإمام السعدي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]، وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته؛ وهي عبودية أنبيائه وأوليائه، وهي المراد هنا؛ ولهذا أضافها إلى اسمه (الرحمن) إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت»[(١)].

فالعبد على ضربين: عبد بالإيجاد والتسخير: وذلك يطلق على كل أحد، كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾[مريم: ٩٣]، وعبد على طريق التخصيص وذلك قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ﴾ [الإسراء: ٦٥] واستثناهم إبليس بقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣][(٢)].

وهذا الاختصاص يجعل لهذه الصفات أهمية كبرى؛ للدعاة إلى الله في المقام الأول، لاختصاصهم بالتبليغ عن الله؛ ولكونهم أحق الناس بالخير العظيم الذي يسعون لايصاله للناس، وللمدعوين كذلك كونهم مخاطبين بكل ما ينفعهم ويحقق الخير لهم.

كما أن الدعوة إلى عبادة الله هي مهمة الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان؛ إذ يجب الانقياد لعبادته سبحانه طوعًا ومحبة له، وعرفانًا بحقه جل شأنه في العبادة، وهو ما تدعو إليه الفطرة التي فطر الله الناس عليها من الاعتراف بربوبيته وما يقتضيه ذلك من الايمان بألوهيته وصرف العبادات له وحده دون سواه؛ وهو سبيل الفوز برضا الله سبحانه في الدنيا والآخرة.

- أن إضافة عبودية المخلوق للخالق في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إنما جاء على سبيل التكريم والتشريف، يعني أفاضل العباد. فهذه الإضافة للتخصيص

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٥٨٦).
(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (ص٥٨).

والتفضيل، وإلا فالخلق كلهم عباد الله[(١)]. قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره فهو الذي يستحق اسم العبودية، ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] يعني في عدم الاعتبار»[(٢)].

فهذا التكريم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للموصوفين يعطي أهمية لهذه الصفات؛ تحفز الدعاة إلى الله على الاتصاف فيها رجاء هذا الشرف، وهو من التنافس في الخيرات والسعي للمكرمات، فما للعبد من مكانة أعلى ولا أرجى ولا أكرم من أن يخضع بالعبودية للخالق سبحانه، وهي تمثل كذلك موضوعات دعوية جديرة بأن يدعى إليها العباد في كل حين.

– مما يبين أهمية صفات عباد الرحمن في هذه الآيات شمولها لأصول الطاعات وأمهات المعاصي؛ والهدف الدعوي ينتهي إلى مرضاة الله والفوز بجناته، وهو متحقق في هذه الآيات بكمال رحمة الله لعباده المؤمنين، وبما أعده لهم من الفوز بالمنزلة الرفيعة من منازل الجنة، وذلك عند اتصاف الداعي والمدعو على حد سواء بما جاء فيها.

فإن الله تعالى نفى عن خواص العباد أمهات المعاصي من عبادة الغير وقتل النفس المحرمة والزنى، بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات من التواضع ومقابلة القبيح بالجميل وإحياء الليل والدعاء والإنفاق والعدل وذلك إظهارًا لكمال إيمانهم، فإنه إنما يكمل بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وإشعارًا بأن الأجر المذكور فيما بعد موعود للجامع بين ذلك[(٣)].

ولذلك ختمت الآيات بعظيم الجزاء الذي يترتب على الاتصاف بها، قال الرازي

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٣/ ٤٥٤)، والنكت والعيون، الماوردي (٥/ ٢٢٠)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي (٢٤/ ٤٨٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/ ٦٧-٦٨).

(٣) انظر: روح البيان، الخلوتي (٦/ ٢٤٦).

رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مبتدأ خبره في آخر السورة، كأنه قيل: وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة»[(١)].

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما ابتدأ الآيات بتكريم أصحاب هذه الصفات بإضافتهم لاسمه الرحمن بيّن ما أعد لهم من الخير العظيم بما يتناسب مع المنزلة التي خصهم الله بها، قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي، وذلك من ابتداء قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾... إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا﴾... الآية ﴿يُجۡزَوۡنَ﴾ يقول: يُثابون على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا ﴿ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ يقول: بصبرهم على هذه الأفعال، ومقاساة شدتها. وقوله: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ بمعنى: وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية»[(٢)].

وبهذا تتضح أهمية هذه الآيات الكريمات للدعاة والمدعوين على حد سواء، فهي منحة إلهية لمن أحب أن يكون عبدًا للرحمن طوعًا وتذللًا، فضلًا عن وجوبها على كل عبد ابتداءًا، كما أنها طريق واضح بيّنه الله جل شأنه يوصل لجنته وهوماتسعى إليه الدعوة إلى الله.

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (٢٤/ ٤٨٠).
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/ ٣٢١).

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الشرعي

إن التأمل والتدبر لآيات الله يفتح آفاقًا متعددة للعبد، فهي بإعجازها وكمالها تمنح دروسًا وعبرًا متنوعة ومتجددة، وسأبين في هذا المبحث صفات عباد الرحمن المتعلقة بجانب العقيدة والعبادات، وذلك كما يلي:

المطلب الأول: اجتناب كبائر الذنوب

الكبيرة هي: «ما يترتب عليها حدّ أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب»[(١)]. وقيل: كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، وقيل: ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة[(٢)].

وشأن كبائر الذنوب عظيم وخطرها جسيم، إذ تفسد على العبد أمر دينه ودنياه، واجتنابها من الأهمية بمكان، كونها سبب غفران صغائر الذنوب عند عدم الإصرار عليها، فقد وعد الله عباده المؤمنين بالمغفرة عند اجتناب الكبائر فقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

فإن غفران السيئات والوعد من الله بالمدخل الكريم هو أعظم الآثار المرجوة من اجتناب الكبائر، كما أن في اجتناب الكبائر زكاة القلوب بطاعة الله وسمو النفس بطلب مرضاته، وهو جوهر التوفيق في الحياة الدنيا والآخرة، وهو ما يحتاج إليه الداعي والمدعو على حد سواء.

ومن كبائر الذنوب التي وردت في آيات صفات عباد الرحمن، والتي يجب اجتنابها: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، والزنا، وشهادة الزور.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (٣٦١).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر (١٢/ ١٨٣)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (٢/ ٨٤).

ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ...﴾ [الفرقان: ٧٢].

وعن عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**»، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: «**أن تزني بحليلة جارك**»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» -ثلاثًا- قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»، وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزُّور، وشهادة الزُّور، ألا وقول الزُّور، وشهادة الزُّور**» فمازال يقولها حتى قلت: لا يسكت»[(٢)].

أ- الشرك بالله: إن أعظم ما أمر الله به التوحيد؛ لأنه الأصل الذي يبنى عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به، وكان الشرك أعظم ما نهى الله عنه؛ لأن أعظم الحقوق هو حق الله عز وجل، فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل[(٣)].

والعبد المؤمن الذي يقر بوحدانية الله وينأى بنفسه عن مزالق الشرك هو أسعد الناس حالًا، وأكثرهم استقرارًا، بخلاف ذوي العقائد الفاسدة التي تسيطر الخرافات والأفكار الباطلة على قلوبهم، فيعيش الفرد في حيرة وتخبط، ويعاني من التأخر والتعثر؛ لهذا فنعمة التوحيد من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده،

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الفرقان، ح (٣١٨٢)، وقال الألباني رحمه الله: «صحيح». انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (ص٧١٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ح (٥٩٧٦)، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، ح (١٤٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) (ص٥٠٦، ٦٩٣).

(٣) انظر: شرح ثلاثة الأصول، ابن عثيمين (ص٤١).

وينبغي للداعي إلى الله أن يحمده عليها ﷻ، وأن يسعى أن تكون الدعوة إلى سلامة العقيدة هي أولى أولويات الدعوة في أي مجال يخوضه لمايترتب عليها من قبول باقي أعمال العبد.

ب- قتل النفس التي حرم الله: قرن الله جل شأنه قتل النفس المعصومة بالشرك بالله في الآيات الواردة في صفات عباد الرحمن وذلك لعظم هذا الذنب، فقد جاء الوعيد الشديد لمن يقع فيه في أكثر من موضع في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

إن عباد الرحمن بما اتصفوا من صفات عالية ومكارم استحقوا بها تشريف عبوديتهم باسم الرحمن الذي بكمال رحمته بهم عصمهم من الوقوع في كبائر الذنوب لم تدنس أيديهم بالدماء التي عصمها الله، وهي أثر جلي لكمال أخلاقهم التي اتسمت بالحلم والأناة، والدعوة الإسلامية بحاجة ماسة في وقتنا المعاصر إلى مثل هذا الفقه الذي يجلي صفات الدعاة إلى الله كما أثنى عليهم ربهم سبحانه، لا كما ينادي به البعض من تكفير المسلمين واستباحة دماءهم دون وجه شرعي، فإن هذا من الإفساد في الأرض، وقتل نفس تعدل قتل الناس جميعًا؛ قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. فتتجلى مسؤولية الدعاة في التحذير من القتل، وبيان خطره، ومايترتب عليه من الجزاء في الدنيا والآخرة، كما يجب كشف الشبهات المتعلقة بحرمة الدماء، ومناصحة من يعبثون في فكر الشباب انحرافًا وتشويهًا بالحجة الثابتة التي تقطع الطريق عن استغلالهم في زعزعة أمن المجتمعات المسلمة.

ج- الزنا: ومن الكبائر التي وردت في الآيات؛ النهي عن الزنا، وهو مما تأنف منه الفطرة السليمة ولا يقربه عاقل يدرك عواقبه، وقد جاء النهي عنه في مواضع

عدة من كتاب الله؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وفي وقتنا المعاصر كثرت دواعيه مع الانفتاح في وسائل التواصل الاجتماعي بين الجنسين، ووقع التساهل بمقدماته من النظر والكلام، والكيس من دان نفسه وألجمها بحدود الله متمثلًا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

ولعظم هذا الذنب وشناعته جعله الله من الكبائر التي قرنها بالشرك وقتل النفس المعصومة في آيات صفات عباد الرحمن، لما فيه من اختلاط الأنساب وقطع الأرحام، فضلًا عن فساد الدين وضعف الإيمان، ولذا كان اجتنابه مما يمدح به عباد الرحمن، فهو ثمرة عفتهم ودليل كمال أخلاقهم.

د- شهادة الزور: من كبائر الذنوب التي نزه الله عباد الرحمن عنها شهادة الزور، إذ بها يتوصل المرء إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مالٍ، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال[(١)].

ولعظم شأنها وخطرها كرر النبي ﷺ التحذير منها، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» - ثلاثًا- قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»، وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزُّور، وشهادة الزُّور، ألا وقول الزُّور، وشهادة الزُّور**» فمازال يقولها حتى قلت: لا يسكت»[(٢)].

(١) انظر: فتح الباري شرح البخاري، ابن حجر (١٠/ ٤١٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ح (٥٩٧٦)، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، ح (١٤٣). انظر: موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة) (ص٥٠٦، ٦٩٣).

قال الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «اهتمامه عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر شهادة الزُّور أو قول الزور: يحتمل أن تكون لأنها أسهل وقوعًا على الناس، والتهاون بها أكثر، فمفسدتها أيسر وقوعًا، ألا ترى أن المذكور معها: هو الإشراك بالله؟ ولا يقع فيه مسلم، وعقوق الوالدين: والطبع صارف عنه، أما قول الزُّور: فإن الحوامل عليه كثيرة، كالعداوة وغيرها، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمها، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها»[(١)].

الدروس الدعوية المستنبطة في هذا الجانب:

- من موضوعات الدعوة إلى الله: الدعوة إلى اجتناب كبائر الذنوب الواردة في الآيات، ومن الواجب بيانها وتجليتها، وتحذير الناس منها، وخاصة فيما يتعلق بالخفي منها؛ كالشرك، والتي قد يدعو إليها الهوى والظلم كالقتل وشهادة الزور، وما ينافي العفة كالزنا.

- من صفات الدعاة إلى الله: اجتناب كبائر الذنوب؛ وفيه طهارة لكل داعٍ أو مدعو وتميز لهم عن غيرهم، قال النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «نفي هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم، كأنه قيل: والذين طهرهم الله مما أنتم عليه» [(٢)].

- من صفات الداعي إلى الله: الصدق، إذ يجب عليه أن يتحرى الصدق، ويجتنب شهادة الزور؛ ويتأكد ذلك في حق الدعاة لكونهم مُبلغين عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، وإذا اعتاد الناس منهم الكذب فضلًا عن شهادة الزُّور وقوله؛ أدى بهم ذلك إلى تلقي قولهم بالشك والريبة والإعراض عمومًا، وبالتشكيك بما يُبلِّغونه من أصول الإسلام وشرائعه خصوصًا.

- من أساليب الدعوة إلى الله: الدعوة بالترهيب؛ وذلك بترهيب المدعو عن

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (ص٦٧٩).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (٢/ ٥٤٩).

الوقوع في كبائر الذنوب، فإن الله سبحانه لما نفى كبائر الذنوب عن عباد الرحمن توعد من وقع فيها فقال تعالى: ﴿...وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

- من أساليب الدعوة إلى الله: الدعوة بالترغيب؛ وذلك بترغيب المدعو بالتوبة، وبشارته بأن الله يبدل سيئاته حسنات عندما يقبل على الله ويقلع عن الذنب، فيجب على الدعاة إلى الله الأخذ بأيدي المدعوين عند الزلل والوقوع في الكبائر، فالله جل شأنه بكمال رحمته سبحانه فتح باب التوبة لعباده، فبعد الوعيد لأصحاب الكبائر جاء الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

فحصول المغفرة يجب أن يسبقها التوبة عن المعصية، وتتحقق التوبة بخمسة شروط:

١- الإخلاص: وهو شرط في كل عبادة، والتوبة من العبادات؛ فمن تاب مراءاةً للناس، أو تاب خوفًا من سلطان لا تعظيمًا لله ﷻ فإن توبته غير مقبولة.

٢- الندم على ما حصل: وهو انكسار الإنسان وخجله أمام الله ﷻ أن فعل مانهي عنه، أو ترك ما أوجب عليه.

٣- الإقلاع عن المعصية التي تاب منها: فإن كانت المعصية ترك واجب يمكن تداركه وجب عليه أن يقوم بالواجب.

٤- العزم على أن لايعود: فإن تاب من هذا الذنب لكن من نيته أن يعود إليه متى سنحت له الفرصة فليس بتائب، ولكن لو عزم أن لايعود ثم سوّلت له نفسه فعاد فالتوبة الأولى لا تنتقض، لكن يجب أن يجدد توبة للفعل الثاني.

٥- أن تكون التوبة وقت قبول التوبة: فإن كانت في وقت لا تقبل فيه لم تنفعه، وذلك نوعان: نوع خاص، ونوع عام. فالنوع الخاص: إذا حضر الإنسان أجله فإن

التوبة لاتنفع، أما العام: فهو طلوع الشمس من مغربها[١].

المطلب الثاني: الاستجابة لآيات الله.

من صفات عباد الرحمن أنهم يستجيبون لآيات الله، فهم يسمعون ما يذكرون به، فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه[٢]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان:٧٣]. والمعنى: «أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصًا على استماعها، وأقبلوا على المذكِر بها بآذان واعية وأعين راعية، بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم، فإنهم إذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكِر بها في ظاهر الأمر، وكانوا صمًّا وعميانًا حيث لايعونها ولا يتبصرون ما فيها»[٣].

وهذا من تمام فطنتهم وذكاءهم، وحري بالدعاة إلى الله أن يكونوا كذلك، فهذا يجنبهم مواطن الزلل ويوصلهم لمعرفة الحق بأقصر الطرق.

الدروس الدعوية في هذه الآية:

- من موضوعات الدعوة إلى الله: الدعوة إلى الإقبال على الله عند التذكير بآياته، والتنفير من مشابهة المنافقين في الإعراض عنها، وبيان مافي هذا الأمر من أهمية كبرى ودلالة عظمى تدل على إيمان العبد، وقوة صلته بالله.

- من صفات الداعي إلى الله: الاستجابة لآيات الله حين التذكير بها؛ وهذا يستلزم من الدعاة الوقوف عند حدود كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، لايتجاوزونها لغيرها، وخاصة في مواطن الاختلاف، فالاستجابة لآيات الله صفة تجمع عباد الرحمن كلهم، ومن شق عنهم اتصف بصفات المنافقين الذين يتظاهرون بالإقبال عليها وهم خلاف ذلك.

(١) انظر: شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين (٤٠١ -٤٠٤).
(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٣/ ٣٢٠).
(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (٨/ ١٣٢).

– من واجبات المدعو إلى الله: الاستجابة لآيات الله ﷻ، والأخذ بالأحكام الشرعية المستنبطة منها، والحرص على تدبر أوامر الله وحسن الانقياد لها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وهذه من صفات المؤمنين، بخلاف الكافر، فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يقصر عما كان عليه، بل يبقى مستمرًّا على كفره وطغيانه وجهله وضلال[(١)].

– من أساليب الدعوة إلى الله: التشبيه؛ وذلك بتشبيه المعرض عن آيات الله بالأصم الذي لايسمع، والأعمى الذي لايبصر؛ كناية عن عدم الفهم والفقه لما يذكر من آيات الله، قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي لم يتغافلوا عنها، كأنهم صم لم يسمعوها، وعمي لم يروها»[(٢)].

وهذا الأسلوب القرآني يعبر عن معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة، وينقل السامع إلى تصور المعنى في إعجاز وبلاغة، وينبغي على الدعاة إلى الله استخدام هذا الأسلوب عند الحاجة إليه، تأسيًا بفعل النبي ﷺ بذلك في مواضع كثيرة عند قيامه بالدعوة.

المطلب الثالث: الحرص على قيام الليل.

من صفات عباد الرحمن التي بيّنها الله سبحانه الحرص على قيام الليل؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾[الفرقان: ٦٤]. «هذا وصف ليلهم، والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجدًا على وجوههم وقيامًا على أقدامهم»[(٣)].

وهذا هو دأب الصالحين في الحرص على التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، فمع قيامهم بما افترضه الله عليهم من الواجبات يجتهدون بما يحسنها من النوافل والمستحبات، ومن **الدروس الدعوية في هذه الآية**:

– من إعداد الداعي إلى الله أن يكون له نصيب من قيام الليل، فصلاة الليل لها أثر

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ١٣١).
(٢) تفسير القرآن الكريم، ابن قيّم الجوزية (ص٤١٢).
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٣/ ٣١٨).

في تكوين شخصية الداعي إلى الله؛ وخاصة فيما يتعلق بصلته بالله ﷻ، وأيضًا بقوة إيمانه وصلاح حاله في الدنيا والآخرة، كما أن لها أثرًا في صحة المؤمن وقوته ونشاطه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد، يضرب على مكان كل عُقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(١).

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله مستدلًا بهذا الحديث: «كذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب»(٢).

- من موضوعات الدعوة إلى الله: الحرص على الأعمال الصالحة الخفية كقيام الليل؛ لأنها أبعد عن الرياء، ففي الآية تخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء(٣). كما أن مراعاة الإخلاص في هذا الوقت أكثر تحققًا في الغالب، قال القاسمي رحمه الله: «وفي قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: إشارة إلى الإخلاص في أدائها وابتغاء وجهه الكريم، لما أن ذلك هو الذي يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود الله»(٤).

المطلب الرابع: الحرص على الدعاء.

من صفات عباد الرحمن الواردة في سورة الفرقان حرصهم على الدعاء، وسؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، ح(١١٤٢)، انظر: موسوعة الحديث الشريف (ص٨٩).

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية (ص١٨٦).

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (٤/ ١٣٠).

(٤) محاسن التأويل، القاسمي (٧/ ٤٣٦).

جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وحقيقة الدعاء: إظهار الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الجود، والكرم إليه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[(١)].

الدروس الدعوية في هذا الجانب:

- من موضوعات الدعوة إلى الله: الدعوة إلى سؤال الله والابتهال إليه، والتضرع بين يديه، فلايقضي الحاجات إلا هو سبحانه، ولا تنال المكرمات إلا بفضله، وهو يأمر عباده بدعائه ويعدهم بالإجابة، وهذا غاية الكرم والجود منه جل شأنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

- من فقه الداعي إلى الله أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة، فيسأل الله صلاح حاله في الدنيا، كما يسأله الجنة وأن يصرف عنه عذاب جهنم، وهذا يستلزم العلم بالمطلوب، وإدراك الثمار المرجوة من الدعاء، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئس المستقر وبئس المقام. أي إنهم يقولون ذلك عن علم، وإذا قالوه عن علم كانوا أعرف بعظم قدر ما يطلبون، فيكون ذلك أقرب إلى النجح[(٢)].

- من أهداف الدعوة إلى الله: **إعداد دعاة مصلحين يقتدي الناس بهم**، ويجب أن يتضمن الدعاء ما يعين على ذلك؛ وفي الآية: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: أئمة

(١) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة، ح (٢٩٦٩)، وقال العلامة المحدث الألباني: «صحيح». انظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، (ص٦٦٤)، وانظر: شأن الدعاء، الخطابي (ص٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/ ٧٢).

يقتدون بنا في الدين، مما يدل على أن الرئاسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها[١].

– أهمية القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله بدلالة سؤال عباد الرحمن ربهم أن يجعلهم قدوة للصالحين في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، أي: اجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك، ويخافون عقابك إمامًا يأتمون بنا في الخيرات[٢].

– من حكمة الداعي إلى الله: أن يجتهد في الدعاء للمدعو؛ وبخاصة من له بهم صلة؛ كالزوجة والأبناء، فإن صلاحهم عون على طاعة الله، وقرة عين له، وهو من تمام نعمة الله على العبد.

المطلب الخامس: الاعتدال في الانفاق.

من صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان التوسط في الانفاق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

فالإسراف: مجاوزة الحدّ في النفقة، والتقتير: التضييق الذي هو نقيض الإسراف، أما القوام فهو: العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما[١].

فعباد الرحمن ليسوا بمبذِّرين في إنفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم، فيقصِّرون في حقِّهم، فلا يكفونهم؛ بل عدلًا خيارًا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا[٢].

الدروس الدعوية في هذا الجانب:

– من موضوعات الدعوة إلى الله: الدعوة إلى نبذ الإسراف وضده البخل؛ وبيان أن التوسط في النفقة من الأمور التي دعت إليها الشريعة في مواضع عديدة من

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (٢/ ٥٥٢)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/ ٣٢٠).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ١٢٣).

الكتاب والسنة؛ ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقول رسول الله ﷺ: «**كلوا وتصدَّقوا والبسوا، في غير إسراف ولا مخيلة**»(٣).

وهذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف، ويضر بالنفس إذا كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال، والمخيلة تضر بالنفس حيث يكسبها العجب، ويضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس(٤).

ويتأكد هذا في وقتنا المعاصر والذي أترف فيه كثير من الناس في معيشتهم وأكلهم ولباسهم إلى حد التنافس والخيلاء، مما ترك أثرًا سيئًا في حياة البعض بركونهم إلى حياة الدعة والكسل والانسياق وراء ملذاتهم وشهواتهم، وترك الجد والعمل من أجل عمارة الأرض بما أراد الله من عباده، وترتب على ذلك تأخر الأمة في شتى مجالاتها العلمية والفكرية والاقتصادية.

– من صفات الداعي إلى الله التوسط في النفقة؛ ويشمل نفقة المال والوقت والجهد، فكما يراعي القصد في ماله يجب أن يراعي التوسط والاعتدال في تقسيم وقته وجهده بين عبادته ودعوته ومعيشته؛ فلا إفراط ولاتفريط، وهذا مما تتجلى فيه حكمة الداعي إلى الله، فعندما آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، زار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل؟ قال: فإني

(١) أخرجه البخاري معلقًا في صحيحه في كتاب اللباس، أول باب قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾، انظر: موسوعة الحديث الشريف، (ص٤٩٤)، وأخرجه النسائي في سننه، ح (٢٥٥٩)، في كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، وقال الإمام الألباني: «حسن». انظر: سنن النسائي، للنسائي (ص٣٩٩).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (٢١/ ٢٩٤).

صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[1].

ويتسع مفهوم التوسط ليشمل وسطية الشريعة الإسلامية والتي اختصت بأنها وسط في كل شيء؛ فلا إفراط ولاتفريط، ولا غلو ولا جفاء، فكلا الطريقين مذمومان، وتبعًا لذلك فإن دعوتها تختص بذات الأمر من التوسط والاعتدال، وهما أمران متلازمان، ولايمكن أن تكون الدعوة إلى الله مخالفة لمقاصد الشريعة وركائزها، وبهذا تتجلى حقيقة بعض الدعوات المعاصرة إذ أن أي وصف لوسطية الدعوة لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية هو تمييع أو تحريف لمبادئها وأسسها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ح (١٩٦٨). انظر: موسوعة الحديث الشريف، (ص١٥٤).

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الأخلاقي

عناية الشريعة بالجانب الأخلاقي للمسلم كبيرة؛ وذلك لأهمية الأخلاق في بناء الأمم، ولدورها في حفظ المجتمعات، ولأهمية الخلق الفاضل للدعاة على وجه الخصوص؛ جعلت هذا المبحث في بيان الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق، والتي يمكن استنباطها من آيات صفات عباد الرحمن، وجاءت كما يلي:

المطلب الأول: السكينة والتواضع.

من صفات عباد الرحمن السكينة والتواضع؛ قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ... ﴾ [الفرقان:٦٣]. قال بعضهم: أي أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار. وقال آخرون: بالطاعة والتواضع[١]. والمعنى: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرًا وبطرًا[٢].

والهون صفة لأخلاقهم وليس صفة للمشي وحده، قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما أن يكون المراد صفة المشي وحده فباطل»[٣].

الدروس الدعوية في هذه الآية:

– السكينة والتواضع من الصفات اللازمة للدعاة إلى الله على وجه الخصوص؛ وذلك لمخالطتهم الناس، وحاجة الأخرين لهم، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ فقد كان ﷺ يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة،طلق الوجه بسامًا، متواضعًا من غير ذلة، جوادًا

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/ ٢٩٣)
(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٣/ ٢٩١)
(٣) فتح القدير، الشوكاني (٤/ ٩٩).

من غير سرف، رقيق القلب، رحيمًا بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم[(١)].

– التواضع يكسب الداعي إلى الله منزلة عالية في قلوب الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»[(٢)]. قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: «فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا،... وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة»[(٣)].

– إن إيمان الداعي إلى الله وطمأنينة قلبه للحق تؤثر في سمته وشخصيته وقارًا وسكينة، ولذا وصف الله خواص عباده بأنهم يمشون هونًا مطمئنين تعلوهم السكينة والوقار، ولاشيء يعدل القرب من الله في استقرار النفس وطمأنينتها.

المطلب الثاني: الحلم:

من صفات عباد الرحمن التي وردت في سورة الفرقان؛ الحلم؛ قال تعالى: ﴿.. وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. فهم حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا، وهذا وصف نهارهم[(٤)].

والحلم هو: «اسم يقع على زم النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى مَا نهي عنه»[(٥)].

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (٢/ ٣١٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب البر، باب استحباب العفو والتواضع، ح (٢٥٨٨)، انظر: موسوعة الحديث الشريف (ص١١٣٠).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (١٦/ ١٤٢).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/ ٢٩٦).

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، البستي (ص٢٠٨).

وقيل: الطمأنينة عند الغضب[١]، وقيل: تأخير مكافأة الظالم؛ والمراد به: عدم استعجاله وتراخيه حتى ينظر في مصالحه[٢].

الدروس الدعوية في هذا الجانب:

– أن في الحلم فوائد عظمى للدعاة إلى الله؛ لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في العقل والشرع وسبب لسلامة العرض والورع[٣].

كما أن ترك المشاحنة والمخاصمة يحفظ الدعوة من التشويش عليها من قبل أعدائها، ويبين عظم الأخلاق التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، ويؤثر في اجتماع الناس على الدعاة ومن ثم قبولهم للدعوة، وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أول عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل»[٤].

– في قولهم (سلامًا) عند وقوع المجاهلة عبرٌ للدعاة إلى الله؛ فقد أقيم السلام مقام التسليم، سلام توديع لا تحية، أي: نسلم منكم تسليمًا؛ فإما أن يكون مرادهم: طلب السلامة والسكوت، وإما أن يكون المراد: التنبيه على سوء طريقتهم لكي يمتنعوا، وإما أن يكون مرادهم: العدول عن طريق المعاملة، وإما أن يكون المراد: إظهار الحلم في مقابلة الجهل[٥].

فعباد الرحمن في الآية خاطبوهم خطابًا يسلمون فيه من الإثم، ويسلمون من مقابلة الجاهل بجهله، وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل، ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال[٦].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (٢٥/ ١١٧).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي (١٤/ ٩١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي (٢٤/ ٤٨١).

(٤) الحلم، ابن أبي الدنيا (ص٢٧).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي (٢٤/ ٤٨١).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، السعدي (ص٥٨٦).

المطلب الثالث: الإعراض عن اللغو:

من صفات عباد الرحمن أنهم معرضون عن اللغو، قال تعالى: ﴿... وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٢].

فقد أخبر الله ﷻ عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كرامًا، واللغو في كلام العرب هو: كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو كل كلام يستقبح[(١)]. قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومرهم بها كرامًا: إعراضهم عنها»[(٢)]. وقال الشَّافِعِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذه الآية: «وفرض اللهَّ على السمع: أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرّم الله، وأن يغضي عما نهى الله عنه»[(٣)].

الدروس الدعوية في هذا الجانب:

- من صفات الداعي إلى الله الإعراض عن اللغو، وهي من صفات المؤمنين الذين فازوا بالفلاح في الدنيا والآخرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

- في قوله: ﴿كِرَامٗا﴾ عبرٌ للدعاة إلى الله ترشدهم للتصرف السليم في المواقف التي قد تعترضهم على اختلافها، فعباد الرحمن إذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كرامًا، مرورهم كرامًا في بعض ذلك: بأن لا يسمعوه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك: بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أوذوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه: بأن ينهوا عن ذلك، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه: بأن يضاربوا عليه بالسيوف، وذلك بأن يروا قومًا يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المراد ذلك منهم، فيصرخونهم،

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/ ٣١٥).

(٢) النكت والعيون، الماوردي (٤/ ١٦٠).

(٣) تفسير الإمام الشافعي، الشافعي (٣/ ١١٦١).

وكل ذلك مرورهم كرامًا[١].

- من موضوعات الدعوة إلى الله: التحذير من اللغو، وإرشاد المدعو إلى كرامته بالإعراض عن كل قبيح، وصيانة النفس عن كل باطل، فعباد الرحمن إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه، يقال: تكرم فلان عما يشينه: إذا تنزه وأكرم نفسه عنه[٢].

المطلب الرابع: الصبر:

من أخلاق عباد الرحمن التي أوصلتهم إلى رحمة الله وكرامته الصبر على المكاره ابتغاء مرضاته، والفوز بجناته، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ...﴾ [الفرقان: ٧٥]. فعباد الرحمن ينالون الدرجة الرفيعة في الجنة، والغرفة كل بناء مرتفع عال، بما صبروا على أمر الله تعالى وطاعته، وعلى أذى المشركين، وعن الشهوات، وغيرها، وإطلاق الصبر لأجل الشياع في كل مصبور عليه[٣].

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه، ليعم كل نوع فيدخل فيه صبرهم على مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالى، وعلى مشاق الطاعات، وعلى مشاق ترك الشهوات وعلى مشاق أذى المشركين وعلى مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس؛ فلا وجه لقول من يقول المراد: الصبر على الفقر خاصة، لأن هذه الصفات إذا حصلت مع الغنى استحق من يختص بها الجنة كما يستحقه بالفقر»[٤].

الدروس الدعوية في هذا الجانب:

- من أهم صفات الدعاة إلى الله الصبر؛ فالدعوة إلى الله طريقها صعب محفوف

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٩/ ٣١٥).
(٢) انظر: تفسير القرآن، السمعاني (٣/ ٤٦٣)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٣/ ٤٥٩).
(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٣/ ٤٦٠)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٣/ ٢٩٧).
(٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي (٢٤/ ٤٨٨).

بالمكاره، وحصول الأذى من الناس متوقع، فالناس أعداء ماجهلوا، ولأجل إقناعهم بالحق تحتاج بعض النفوس إلى مدارة وصبر ورفق حتى تستجيب لأمر الله، فإن الداعية إذا أوذي على ما فعله لله، أو على ما أمره به من طاعته، ونهى عنه من معصيته، وجب عليه الصبر ولم يكن له الانتقام، فإنه قد أوذي في الله، فأجره على الله، وليعلم أنه إن صبر فالله ناصره ولابد، فإن الله وكيل من صبر وأحال ظالمه عليه، ومن انتصر بنفسه لنفسه وكله الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها، فأين من ناصره الله خير الناصرين، إلى من ناصره نفسه أعجز الناصرين وأضعفه، كما أن صبره على من آذاه واحتماله له يوجب رجوع خصمه عن ظلمه وندامته واعتذاره، ولوم الناس له فيعود بعد إيذائه له مستحييًا منه، نادمًا على ما فعله، بل يصير مواليًا له وهذا معنى قوله: ﴿...ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥][(١)].

— من صفات عباد الرحمن أنهم يسعون للإمامة في الدين كما مر بنا في قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، وهذه الإمامة مهمة للدعاة إلى الله، وهي لا تنال إلا بالصبر واليقين، وتشمل جميع أنواع الصبر، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فإذا انضاف إلى هذا الصبر قوة اليقين والإيمان ترقى العبد في درجات السعادة بفضل الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[(٢)].

المطلب الخامس: الخوف من النار:

من صفات عباد الرحمن الخوف من النار، فرغم ما وصفهم الله به من العبادة

(١) انظر: قاعدة في الصبر، ابن تيمية (ص٩٨).
(٢) المرجع السابق، (ص ٩٤).

وقيام الليل فإنهم يخافون عذابه ويخشون ناره، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦].

فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: هم مع طاعتهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله. يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم، وذلك لأن ﴿عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازمًا دائمًا غير مفارق. ومنه: سمي الغريم لملازمته. ويقال: فلان مغرم بكذا أي لازم له مولع به [(١)]. وقد وصفهم الله -جل شأنه- بإحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانًا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون إلى الله في صرف العذاب عنهم[(٢)].

الدروس الدعوية في هذا الجانب:

- الخوف من الله صفة جليلة، وقاعدة مهمة من قواعد الإيمان به، وله ثمار متعددة على الداعي والمدعو على حد سواء؛ قال شيخ الاسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه، بمثل خوفه ورجائه ومحبته؛ فمتى خلا القلب من هذه الثلاث؛ فسد فسادًا لا يرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه، ضعف إيمانه بحسبه»[(٣)].

- من أساليب الدعوة إلى الله الترهيب؛ وذلك بترهيب المدعو من النار التي أعدها الله لمن خالف صراطه المستقيم، فجهنم دليل على عظمة الله وشدة بأسه وبطشه وقوة سطوته وانتقامه في أعدائه، فالخوف منها في الحقيقة خوف من الله وإجلال وإعظام وخشية لصفاته المخوفة، مع أن الله سبحانه يخوف بها عباده، ويحب منهم أن يخافوه بخوفها، وأن يخشوه بخشية الوقوع فيها، وأن يحذروه بالحذر منها،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الطبري (١٣/ ٧٢).
(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (٢/ ٥٤٨).
(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٥/ ٢١).

فالخائف من النار خائف من الله، متبع لما فيه محبته ورضاه[١].

- من المهم أن لا يركن الداعي إلى الله إلى عمله ولايعتد به، فآيات صفات عباد الرحمن تشير أنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق، واجتهادهم في عبادة الحق؛ وجلون من العذاب، مبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم؛ لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم[٢].

- من موضوعات الدعوة إلى الله: التأكيد على القدر الواجب من الخوف، وهو ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلًا محمودًا، كما هو حال عباد الرحمن، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو همًّا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل، لم يكن محمودًا[٣].

هذا فيما يتعلق بالدروس الدعوية التي تشير إليها آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان؛ وهي دروس عظيمة، جليلة المغزى، خص بها الله -جل شأنه- عباده المؤمنين، ووعد من صبر على أدائها المنازل العلى في جنته.

(١) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب (ص ٢٨).

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (٤/ ١٣٠).

(٣) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب (ص ٢٨).

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبهديه ورضوانه تنال المكرمات، وأصلي وأسلم على من ختمت به الرسالات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الهداة، أما بعد:

فالحمد لله على ما منّ الله به علي من النظر في آياته، والتدبر فيما ذكر من صفات عظمى لعباده المؤمنين، الذين اختصَّهم برحمته، وسماهم عباد الرحمن، والذي يرجى من الدعاة إليه أن يتصفوا بها، ويحرصوا على بيانها للمدعوين، ويحسن في ختام هذا البحث أن أشير إلى **أبرز النتائج** التي خرجت بها:

- تمثل صفات عباد الرحمن منهجًا متكاملًا لشخصية العبد المؤمن، والتي تؤدي به عند الاتصاف بها إلى مرضاة الله والفوز بجناته، وهي صفات عبودية خالصة للرحمن، واختص سبحانه من أسمائه اسم الرحمن ليضيف له عبودية عباده لما في هذا الاسم من كمال رحمته سبحانه بعباده المؤمنين.

- **من موضوعات الدعوة إلى الله**: الدعوة إلى اجتناب كبائر الذنوب الواردة في آيات صفات عباد الرحمن، ومن الواجب بيانها وتجليتها، وتحذير الناس منها، وخاصة فيما يتعلق بالخفي منها؛ كالشرك، والتي قد يدعو إليها الهوى والظلم كالقتل وشهادة الزور، وما ينافي العفة كالزنا.

- **من صفات الداعي إلى الله**: الاستجابة لآيات الله حين التذكير بها؛ كما أن من واجبات المدعو إلى الله: الاستجابة لآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأخذ بالأحكام الشرعية المستنبطة منها.

- **من أهداف الدعوة إلى الله**: إعداد دعاة مصلحين يقتدي بهم الناس، ويجب أن يتضمن الدعاء ما يعين على ذلك؛ وفي الآية: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: أئمة يقتدون بنا في الدين، مما يدل على أن الرئاسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها.

- في قولهم (سلامًا) عند وقوع المجاهلة عبرٌ للدعاة إلى الله؛ فقد أقيم السلام مقام التسليم، سلام توديع لا تحية.

– **من موضوعات الدعوة إلى الله:** التحذير من اللغو، وإرشاد المدعو إلى كرامته بالإعراض عن كل قبيح، وصيانة النفس عن كل باطل، فعباد الرحمن إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

– من المهم أن لايركن الداعي إلى الله إلى عمله ولايعتد به، فآيات صفات عباد الرحمن تشير أنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق، واجتهادهم في عبادة الحق؛ وجلون من العذاب، مبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم؛ لعدم اعتدادهم بأعمالهم.

أما **أبرز التوصيات** التي خرجت بها من هذا البحث فما يلي:

– تكثيف الدراسات التي تُعنى بتأصيل الدعوة إلى الله من الكتاب والسنة، فهما الخير العظيم للبشرية، بما حويا من تشريعات إلهية محكمة.

– أوصي بدراسة آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان، وكذلك ماورد من صفات المؤمنين في بداية سورة المؤمنون، وشواهدهما المتفرقة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتطبيقاتهما الدعوية.

هذا وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١) **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، ابن دقيق العيد، الحافظ أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، مكتبة السُّنة، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ.

٢) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣) **البحر المحيط في التفسير**، ابن حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، د: ط

٤) **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، الدمشقي، الحنبلي، المحقق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، دار البيان، دمشق، ط٢، ١٤٠٩ – ١٩٨٨.

٥) **تفسير الإمام الشافعي**، الشافعي، محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦) **تفسير الراغب الأصفهاني**، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٧) **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٨) **تفسير القرآن الكريم**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.

٩) **تفسير القرآن**، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١١) **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٣) **الحلم**، ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط١، د: ت.

١٤) **روح البيان**، الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء، دار الفكر - بيروت، د:ط، ت.

١٥) **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د: ط، ت.

١٦) **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**، الترمذي، الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه العلاَّمة المحدِّث: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د: ت.

١٧) **سنن النسائي**، النسائي، أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي، وعليها أحكام المحدِّث الشيخ: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د: ت.

١٨) **شأن الدعاء**، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ط٣، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٩) **شرح الأربعين النووية**، ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، دار الثريا للنشر، د:م، ت، ط.

٢٠) **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

٢١) **شرح ثلاثة الأصول**، ابن عثيمين، محمد بن صالح، إعداد الشيخ: فهد ابن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر،، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٢) **الطب النبوي**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الهلال – بيروت، د: ط، ت.

٢٣) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د: ط، ت.

٢٤) **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، العظيم أبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٢٥) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، د: ط.

٢٦) **فتح القدير**، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

٢٧) **قاعدة في الصبر**، ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٦، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٨) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٩) **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٠) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣١) **محاسن التأويل**، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٢) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٣) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٤) **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٥) **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٦) **مناهج البحث العلمي**، بدوي، عبد الرحمن، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.

٣٧) **مناهج البحث وكتابتها**، القاضي، يوسف بن مصطفى، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ، د:ط.

٣٨) **مناهج البحث**، عناية، غازي بن حسين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د:ط، ت.

٣٩) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٤٠) **موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)**، إشراف: آل الشيخ: صالح، دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ.

٤١) **النكت والعيون**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، د: ط، ت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٣٠٦
مقدمة	٣٠٧
التمهيد	٣١٢
المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الشرعي	٣١٦
المطلب الأول: اجتناب كبائر الذنوب	٣١٦
المطلب الثاني: الاستجابة لآيات الله	٣٢٢
المطلب الثالث: الحرص على قيام الليل	٣٢٣
المطلب الرابع: الحرص على الدعاء	٣٢٤
المطلب الخامس: الاعتدال في الانفاق	٣٢٦
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالجانب الأخلاقي	٣٢٩
المطلب الأول: السكينة والتواضع	٣٢٩
المطلب الثاني: الحلم	٣٣٠
المطلب الثالث: الإعراض عن اللغو	٣٣٢
المطلب الرابع: الصبر	٣٣١
المطلب الخامس: الخوف من النار	٣٣٤
الخاتمة	٣٣٧
فهرس المصادر والمراجع	٣٣٩
فهرس الموضوعات	٣٤٣